

دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، خريف ١٣٩٨، العدد الثالث والأربعون: صص ١١٣-١٣٦

دراسة الوظائف الاجتماعية في روايتي «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» على أساس النقد التكويني

* ليلا سلطاني

تاريخ الوصول: ٩٨/٢/١٠

** عبدالحسين فرزاد

تاريخ القبول: ٩٨/٥/٢٦

*** امير حسين ماحوزي

الملخص

النهج التكويني والنقد التكويني والنظرية البنائية للوسيان غولدمان (١٩١٣-١٩٧٠م) هي واحدة من البحوث الإنسانية للنقد الأدبي المعاصر والتي تحاول الكشف عن القوانين الخفية التي تحكم كافة العلاقات الإنسانية. يتمثل الهدف الرئيسي لغولدمان في النقد في تحقيق نظرة عالمية للعمل وعلاقته بفئة اجتماعية معينة. في رواية «عناقيد الغضب»، ينتقد الكاتب الأمريكي جون ستاينبيك (١٩٣٠م) الظلم في مجتمع العمل والأزمة الاقتصادية الأمريكية، ولهذه الرواية الكثير من القواسم المشتركة مع رواية السنوات الغائمة لدرويشيان (١٩٩١م)، والتي تقدم أيضاً نظرة فاحصة على الطبقات الدنيا من المجتمع في عهد رضاخان، بالاعتماد على أدب العمال والأضرار الاجتماعية لإصلاح ذوى الدخل المنخفض. السبب الرئيسي للتمايز بين «السنوات الغائمة» من وجهة النظر الاجتماعية مقارنة برواية «عناقيد الغضب» هو التمثيل الكامل لحياة الشخصيات الجدلية التي لم يتم التعبير عنها بشكل كامل في «عناقيد الغضب»، حيث تم تقديم صورة واضحة عن حياة الأفراد الجدليين. وبالتالي فإن السنوات الغائمة تكشف حياة البروليتاريا في الفترة الحاسمة لصراع ما قبل الثورة الإسلامية. تعبر «السنوات الغائمة» عن المسيرة الطويلة المحفوفة بالمخاطر لأشخاص فقراء وكيفية الوصول إلى الوعي الطبقي، بينما لا يزال أبطال «عناقيد الغضب» في بداية وعيهم الطبقي.

الكلمات الدلالية: السنوات الغائمة، عناقيد الغضب، النقد التكويني، علم اجتماع الآداب.

L.soltani@yahoo.com

* طالبة الدكتوراه في فرع اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع رودهن.

** عضو هيئة التدريس بمعهد بحوث العلوم الإنسانية.

*** عضو الهيئة التدريسية بجامعة بيام نور دماوند.

الكاتبة المسؤولة: ليلا سلطاني

المقدمة

يعتبر النقد التكويني من الموضوعات الجديدة فى النقد الأدبى المعاصر، وهو نظرية نشأت فى نقد لوسيان غولدمان (١٩١٣ - ١٩٧٠م). فى تحليل النقد التكويني، يسعى غولدمان إلى ربط الهيكل الداخلى للعمل بالبناء الفكرى، أى النظرة العالمية للطبقة الاجتماعية للمؤلف. فى رأيه، تتطابق السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية، وكلما كانت العلاقة أقوى كانت المصادقية الفنية أكثر فعالية. «العمل الأدبى ليس فى المقام الأول من صنع عقل المؤلف، بل هو من صنع عقل اجتماعى شامل فيه قيم وتطلعات. فى طريقة انتقاده، يرى أنه من الممكن أن ينتمى مؤلفان مختلفان إلى فئة طبقية واحدة من حيث الهيكل الذهنى. الهدف الرئيسى من النقد برأيه هو تحقيق رؤية عالمية ذات صلة بفئة اجتماعية معينة» (شميسا، النقد الأدبى: ٢٩٢).

السمة المميزة لنقد غولدمان التكويني هى وجهة نظره التاريخية لمسار التيارات الاجتماعية، فهو يرى أن مصير الإنسان مستحيل دون المجموعة الاجتماعية والبيئة الأسرية والفضاء الفكرى والثقافى الذى يتم تربيته فيه. فى النقد التكويني يخضع الإنسان للتحليل ككل. «تحاول الفلسفة التاريخية الماركسية اكتشاف القوانين الخفية التى تحكم جميع العلاقات الإنسانية، ومن ثم فإن موضوع الإنسانية البروليتارية هو إعادة إعمار كل شخصية إنسانية وتحريرها من التغيير والتفتت الذى تعرضت له فى المجتمع الطبقي» (لوكاتش، بحث فى الواقعية الأوروبية: ٦). بالنسبة لغولدمان، ينتمى المؤلف إلى طبقة اجتماعية ويعكس الرؤية العالمية للفئة نفسها التى ينتمى إليها؛ فهو لا يهتم كثيراً بالمحتوى ولكنه يعتمد على صنع هذا المحتوى. الغرض من البنائية التكوينية هو التعبير عن الوحدة بين الصورة والمحتوى. يجمع غولدمان على حد سواء علم الاجتماع الاشتراكى والشكليات البنيوية لأن المحتوى هو الأمر الوحيد المهم فى علم الاجتماع الشعبى وليس المسائل الفنية، أما فى الشكلية فلا يكون الهيكل الدلالى هو المهم بل الصورة. إنه يسعى إلى اكتشاف العلاقة بين الهيكل الداخلى للعمل والبناء الفكرى للطبقة الاجتماعية للمؤلف برؤية عالمية ولغة بسيطة. علاقة العمل بنظرة المؤلف الاجتماعية إلى العالم هى أساس أسلوبه. هناك توافق بين العمل الأدبى والوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى. كلما كانت العلاقة أقوى، زادت مصادقية العمل. العمل الفنى ليس من إنشاء عقل المؤلف فى

الأساس، بل هو من صنع عقل اجتماعي، أي القيم والأمال الموجودة في المجتمع. يهتم *غولدمان* في المرحلة الأولى ببناء مقولات المحتوى للنظرة العالمية، وفي المرحلة الثانية بكيفية إنشاء هذه الهياكل والبنى العقلية تاريخياً. في أسلوبه النقدي، قد يكون لكاتبين مختلفين ظاهرياً نفس الانتماء لطبقة اجتماعية معينة. تتوافق أفكاره الرئيسية مع ميلاد وحياء أدب العمال، وقد تدفقت أفكاره وازدهرت في المؤسسة الفكرية للبروليتاريا. بالنسبة إليه، فإن البروليتاريا تجمع بالغ يدرك بعمق "تشيؤ"ه الفريد ويقوم المجتمع الرأسمالي بقمع احتجاج البروليتاريا. لذلك تنهض البروليتاريا بطرق مختلفة وتسعى لحقوقها الطبقية. الروايتان اللتان نناقشهما تمثلان حياة العمال الذين يمثلون بالنسبة ل*غولدمان* ذراعاً محركاً لا يمكن للطبقات المقابلة البقاء دون وجودها. من ناحية أخرى، تصبح البروليتاريا في ذروة وعيها الطبقي فرداً إشكالياً يمكن رؤية مثاله في الروايتين. من السهل تطبيق النقد التكويني على روايتي السنوات الغائمة وعناقيد الغضب، حيث عبّر كاتبان معروفان بوضوح عن نقطة صعبة وحساسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للبلدين بلغة الطبقات الدنيا. في هذه الدراسة، يتم تحدي البيئة الاجتماعية والاقتصادية للروايتين، ولأن الروايتين تمثلان وصفاً لحياة العمال، فإننا سنتطرق هنا لدراسة أوجه التشابه والاختلاف التي أحدثتها النظرة العالمية للمؤلفين مع نظرية *غولدمان* للنقد التكويني.

إشكالية البحث

إن الموضوع المشترك الذي يصور الفقر والمحاولات اليائسة من قبل طبقة البروليتاريا لكسب لقمة العيش وتغيير ظروفها المحفوفة بالمخاطر، يجعل من الممكن مقارنة روايتي «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب». المدرسة الأدبية للعملين الأدبيين هي الواقعية النقدية القريبة من الطبيعية، وهي تبين الفقر والانسجام الاجتماعي للبروليتاريا مع توقع ضئيل من شأنه أن يؤدي إلى تمرد واحتجاج لا مفر منه؛ حيث يحمل الاحتجاج الذي يجعل المجتمع واعياً للعدالة وينتهي أحياناً بخسارة وموت البطل، قيمة لحياة كريمة تتطلع إلى مستقبل للجيل القادم. تتمتع الغالبية العظمى من الشخصيات في الكتابين بهذه الديناميكية الشخصية، ولا سيما في مجال إدراك الاستبداد والاستعمار والقوة المذهلة للنهضة الثورية للتحويل وبناء الذات والأمل في غد أفضل.

خلفية البحث

نشرت مقالات شاملة عن رواية السنوات الغائمة حتى الآن، لكن هذا العمل لم يُنتقد في ضوء النظرية النقدية التكوينية لـ *غولدمان* والتي كان لها تأثير كبير على البنية الاجتماعية والبنائية للرواية. ولكن فيما يلي بعض الأعمال ذات الصلة: في عام ٢٠١٢م، نشر *خليلي جهان تيغ وعثماني* مقالاً بعنوان «نقد اجتماعي للسنوات الغائمة لعلی أشرف درويشيان» في مجلة الأدب القصصي الفصلية. كما يتضح من عنوان المقال أعلاه، فإنه يتناول القضايا الاجتماعية البارزة ومشاكل مجتمع *رضاخان*. في عام ٢٠١٠م، نشر *كوجكيان وقرباني* مقالاً بعنوان «انعكاس المجتمع والواقعية الاشتراكية في السنوات الغائمة لعلی أشرف درويشيان» في مجلة البحوث الفلسفية، وتطرقا فيه إلى الأفكار الرئيسية للشخصيات المناضلة في الرواية. وتعتبر رواية «عناقيد الغضب» أبرز روايات العمال في القرن التاسع عشر في أمريكا، وترجع شهرتها إلى الدراسات الواقعية لحياة الفقراء، ولكن لم تنشر سوى مقالات قليلة عن هذا الموضوع الاجتماعي التعليمي. في عام ٢٠٠٥م، نشرت نجمة قابلي مقالاً بعنوان «الشخصيات المتمردة في أعمال جون ستاينبيك» في مجلة *كلستانه*، حيث قامت بتقييم هجرة الفقراء وأنشطة العمال المحتجين ضد الأزمة الاقتصادية وتعاليمهم. على الرغم من أن هذين العاملين مثالان متقاربان في مجال أدب العمال والتربية في القرن العشرين، إلا أنه لم يتم إنجاز أي نقد مقارن حولهما حتى اليوم، ويمكن للمرء إجراء دراسة مقارنة لموضوعات الروايتين مع أفكار *غولدمان* البنائية التي تنظر إلى حياة الطبقة الدنيا من المجتمع والنمو الفكري لها معتمدة على كسب التعاليم. الأدب المقارن مفيد للغاية على الساحتين الوطنية والعالمية والتعرف إلى الأدب الأجنبي ومقارنته بالأدب الوطني في الساحة العالمية، يؤدي لتقليل الانحياز غير المبرر للغة الوطنية وأدائها.

ضرورة البحث وأهميته

للأدب المقارن مكانة تاريخية وتقليدية عمرها مائتا عام إلى جانب التاريخ الأدبي والنقد الأدبي، ومدى أنشطته المقارنة هو تقييم لرسالته. يمكن أن يساعد هذا الأدب في فهم وحدة أدب الأمم المختلفة، وسيكون هذا أكبر إسهام في الأدب العالمي، وهذا هو

التحضير لإنسانية جديدة (ساجدي، ٢٠٠٨: ٦٩). يحتوي الأدب المقارن كعلم حديث على مدرستين رئيسيتين هما الفرنسية والأمريكية. تعمل دراسات المدرسة الفرنسية على محور العلاقات النصية وتدرس الأعمال التي لها علاقات تاريخية مباشرة أو غير مباشرة، ولكن في المدرسة الأمريكية، تجرى دراسة معظم الموضوعات والأساليب (نامور مطلق، ٢٠١٠م: ٢٩). النقد المقارن هو استجابة الإنسان المعاصر للتخصص الشديد للمعرفة الإنسانية، ومثل هذا النقد يفك شيفرات جزء من أوجه التشابه الفني والموضوعي بين أعمال مختلف الأمم. الأدب المقارن في إيران علم حديث ومفيد للعلماء لإلقاء نظرة أعمق على أعمال إيران والعالم المتميزة، لا سيما وأن القليل من الأبحاث قد أجرى حتى الآن بشأن هذا الموضوع، وقد حاولت المؤلفة الاعتماد على النقد المقارن الأمريكي الذي يدرس مضمون العمل ومدرسته، لتحاول إجراء دراسة مقارنة للعملين وجسر التواصل في هذا المجال هو تفكير *غولدمان* في تحليل مصير المجتمعات البشرية بالضرر الاجتماعي والنقد التكويني.

البحث والدراسة

الرؤية العالمية للوسيان *غولدمان* في النقد التكويني

بالنسبة لـ *غولدمان*، فإن البنائية التكوينية في سياق المجتمع تعني تلقي الظواهر الاجتماعية في تاريخها، والمعرفة الملموسة بالظواهر الإنسانية ممكنة فقط في سياق علم الاجتماع التاريخي. يرى *غولدمان* أنه *غولدمان* أنه ليست هناك ظاهرة من الظواهر البشرية، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية وما إلى ذلك، غير قابلة للتشريح، باستثناء عملية التحول التاريخية الواسعة التي لا تقتصر على الماضي والحاضر بل تتجه إلى المستقبل «*غولدمان*، المجتمع، الثقافة، الأدب: ٤١) وتتمثل مهمة علم الاجتماع التكويني في التركيز على عالم العمل وليس محتواه الخام، وبالتالي كلما كان العمل الأدبي أكثر اتساقاً وانسجاماً ومقترناً بالأسلوب الدقيق للفئة الاجتماعية المتميزة والنظرة العالمية الخاصة التي تشكل هيكل العمل، كلما وصلنا إلى الواقع الاجتماعي للعمل بشكل أكثر تعبيراً. «إن الاعتراضات على تحليل البنائية التكوينية للأدب تشير إلى أنها لا تدمج المفاهيم الفلسفية في الأدب ولا تهتم كفاية بجسم العمل، لأن البنائية التكوينية تفصل

بشكل حاسم الجزء التخيلي عن الجزء الإدراكي، ولا تهتم بالقصة، أى المحتوى الخام، ولكن بهيكل عالم العمل «غولدمان، النقد التكويني: ٩٢». وفقاً لنظرية غولدمان واهتمامه الخاص بالنقد، فإن النظرة العالمية وهيكل العالم الغامض للعمل يخضع للتحليل حسب البنائية الماركسية. النقد الماركسي هو أحد أنواع النقد الاجتماعي الذي يدرس الأدب في سياقه التاريخي. يتأثر هذا النقد للأعمال الأدبية بالبنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية، ويعكس كل عمل ظروف الطبقات الاجتماعية والخلافات، لذلك يتعين على الناقد تحديد السياقات التي يتأثر فيها العمل (كوجكيان، انعكاس المجتمع والواقعية الاشتراكية في السنوات الغائمة: ٧٦). في المدرسة الماركسية، يكون للأدب دور اجتماعي وسياسي. يعتقد الماركسيون أنه لا يمكن دراسة الأفراد بعيداً عن المجتمع لأن لديهم رؤية عالمية معينة في المجتمع. ينطبق النقد التكويني للبنائية الماركسية على الممر النظري الأول، أى النظرة العالمية التطبيقية. النقد التكويني ليس منفصلاً عن البنائية الماركسية؛ يشرح غولدمان النقد التكويني بالفكر الماركسي.

تشابه أفكار ماركس وغولدمان في النقد الاجتماعي

يرى المفكر الكبير كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) أن علاقات النظام الرأسمالي والاجتماعي بين البشر تتشكل من خلال العلاقات بين الأشياء، ولكن بسبب الاستغلال الذي يحدث، والذي يجعل من الضروري تكوين شبكة علاقات سلع كاملة تشكل المجتمع الرأسمالي، فإن العامل هو محور المجتمع: «تقع طبقة العمال في مكانة يمكنها من خلالها أن ترى المجتمع الرأسمالي ككل وتحقق الوعي الطبقي في الوقت نفسه الذي يوجد فيه التشيؤ» (لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي: ٣١٧). إن وعى العامل ذاته مبنى على المكانة الموضوعية للبروليتاريا في مجتمع الرأسمالية. إنها العملية التي يتعرف من خلالها العمال على وضعهم الحقيقي في المجتمع وهي أساس العملية الذهنية والفكرية. في هذا الممر، يتوافق نقد غولدمان تماماً مع آراء ماركس، لأن ماركسية غولدمان تعتبر ضرورة تتجاوز الأدب والفلسفة، فهو مثل ماركس سياسي، وأساس تفكيره يتمثل في ضرورة تغيير العالم. كان غولدمان مثقفاً راديكالياً اعتبر طبيعة العقل ثورية، كما كانت السيطرة على العمال بالنسبة له هي الأداة الواعدة للتغيير الجذري.

كيفية ظهور أدب العمال

أدب العمل هو نوع من الأدب الذي ظهر وازدهر في العالم منذ القرن التاسع عشر. «كل حركة تخلق أدبها الخاص، تبرز الطبقة العاملة إلى جانب النظام الرأسمالي، وصراعات العمال واهتماماتهم تخلق الأدب العمالي» (سلطاني، أدب العمل: ٤٥). لا يقتصر الأدب العمالي على العمال بل يشمل الأشخاص ذوى الدخل المنخفض والأميين والمشردين. في إيران وقبل النهضة الدستورية، كان لدينا أيضاً شعر عمالي لشعراء مثل فرخى يزدى. شهدت السنوات الأخيرة من الحكم القاجارى تشكيل الطبقة العاملة فى إيران، وبدأت حركة الطبقة العاملة الناشئة فى إيران منذ عام ١٩٠١م فصاعداً، حيث تمت المشاركة فى الثورة الدستورية مع الطبقات الأخرى ثم جرى تشكيل نقابات العمال وفى النهاية تشكيل حزب مستقل. خلال عهد رضاشاه، وبسبب تقوية العلاقات الرأسمالية، نمت الطبقة العاملة الصناعية واتسم أدب العمال بنوعية أفضل، فقد صور صادق هدايت فى قصة «غداً» وبزرگ علوى فى قصة «الخائن» وبه آدين فى قصة «بنت الرعية» حياة العمال وصراعاتهم. «عندما يتحدث أحد الكتاب عن تاريخ العمال ومشاكلهم وفقدهم وكيف يتم استغلال العمال ونضالهم الشرعى مثل الإضرابات والمظاهرات، فإنه يدخل فى هذا النوع الأدبى المسمى أدب العمال» (انظر: سيدى، دراسة للأدب العمالي فى الفترة الدستورية فى النظم والنثر: ٢٧). عندما نعتبر العمال طبقة اجتماعية تحارب المجتمع الرأسمالي وهى فى طليعة هذا الكفاح، فإن المشاكل الاجتماعية فى هذا القرن تتمثل فى: البطالة والفساد والتضخم والتلوث البيئى والحروب الدينية والعرقية والإثنية الكبرى والتدخل الإمبريالى فى حياة الفقراء التى هى عالمية ولا تقتصر على الطبقة العاملة، وسوف نجد أن نضال العمال هو صراع إنسانى لجميع شعوب الأرض.

البروليتاريا مأسورة بالتشيؤ

«البروليتاريا (Proletarius) مشتقة من Proles بمعنى الابن. فى روما القديمة، تضمنت الكلمة أشخاصاً لا يستطيعون دفع الضرائب فقاموا بتوظيف أطفالهم لخدمة الحكومة. البروليتاريا هى الطبقة التى لا تملك أى وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضىلى أو الفكرى» (آشورى، الموسوعة السياسية: ٨٤). عندما يصل العمال إلى الوعى

العمالي من خلال عملية عقلية وفكرية ويتصورون التضاد الطبقي داخل المجتمع، يؤدي ذلك لتحول وعيهم، وبالتالي سوف تنهار الهياكل ذات التشيؤ الرأسمالي. التشيؤ (Verding lich hung bewusteseincs) «ذو دور حاسم للاقتصاد ككل في السلوك الاجتماعي» (غولدمان، ١٩٩٧م: ٤٤) ويؤدي التشيؤ إلى ثورة البروليتاريا. في وجود البروليتاريا، تصل القوى العاملة إلى الوعي وتثور ضد التشيؤ الرأسمالي. لذا فإن العامل عبارة عن سلعة تتكون من كائنات بشرية متمردة يحتمل أن تكون ضد النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يسعى إلى اختزلها إلى أشياء غير حية. لا تملك البروليتاريا الثروة اللازمة لاستغلالها ولا المكانة الاجتماعية للدفاع عنها. إن البروليتاريا، بحكم وضعها الاجتماعي في المجتمع الرأسمالي التقليدي، هي الطبقة الوحيدة التي تمكّنها حالتها الشمولية من الحياة من رفض موضوع التبعية. إن روايتي «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» تمثلان قصة الحياة المتقلبة للبروليتاريا، أسرتان واسعتان تمتدان إلى أربعة أجيال، وتشملان الطبقة العاملة بأكملها، وتتعارض مع تشيؤها.

الوظائف الاجتماعية للبروليتاريا والتشيؤ في «السنوات الغائمة»

موضوع القصة نقدي ونضالي، ونظرة درويشيان في الكتاب هي نظرة اجتماعية سياسية مستوحاة من الجو الاستبدادي لأربعينيات وخمسينيات إيران. يتحدث الراوي عن الحرب العالمية الثانية واحتلال كرمانشاه من قبل الحلفاء، وانقلاب أغسطس ١٩٥٣م، وأنشطة الأحزاب السياسية، وانتفاضة يوليو، وأخيراً الثورة الإسلامية. شريف هو راوي رواية «السنوات الغائمة». الفقر الذي يلقي بظلاله على حياة من حوله، وأفكار الخال سليم العامل الذي ينتمي لحزب توده، وقراءة أنواع الكتب والصحف تجعل منه مناضلاً ثورياً في طليعة حزب توده. «طالب حزب توده بثورة وطنية ضد أصحاب الإقطاع لإكمال الإصلاحات التي بدأت بالثورة الدستورية. اعتقد الحزب أن الصراع الاجتماعي الرئيسي في إيران كان بين الشعب المضطهد والحكام القمعيين، وليس بين الطبقات الوسطى والدنيا» (إبراهيميان، إيران بين ثورتين: ١٧١). إن تمرد سليم وشريف ومناضلين آخرين احتجاجاً لأجل الإطاحة بحكومة الحكام القمعيين الذين يشبهون دودة العلق التي تمتص دماء الناس وتسمن يوماً بعد يوم. والد شريف هو عامل ذو دخل منخفض وأمي وخاضع وبسبب

كونه سلعة عديمة القيمة فإنه يؤمن لقمة العيش بالجهد والتعب. تمارس والدة شريف الخياطة وبالكاد تقدر على دفع تكاليف تعليم أولادها على أمل ألا يصبحوا فقراء مثلها. ينضم الخال سليم إلى نضال المجموعة ضد زعماء البرجوازية، لكنه يصاب بالإحباط بعد انقلاب أغسطس وإسقاط مصدق وهزيمة حزب توده. طرد من العمل بسبب الفعاليات السياسية لكنه عاد إلى العمل بأجر أدنى دون أى مزايا تتعلق بخبرة العمل. إنه محكوم منذ الطفولة بالعمل الشاق وانخفاض الدخل والتشيؤ. على الرغم من أن مؤسسى حزب توده كانوا ماركسيين، إلا أنهم لم يطلقوا على أنفسهم شيوعيين، وكان أحد أسباب حذرهم هو أن الشعب كان لديه نظرة معادية للاشتراكية والشيوعية والاتحاد السوفيتي.

يدور موضوع القصة، بالإضافة إلى السياق السياسي، حول الفقر وعواقبه، والتي تشمل المرض والموت والنزاعات العائلية وعمل الأطفال (خليلى جهان تيغ وعثمانى، نقد اجتماعى للسنوات الغائمة بقلم على أشرف درويشيان: ١١٩). عائلة شريف هى مثال على البروليتاريا التى تفهم الظروف الاستعمارية السابقة للثورة وتسعى للعمل مع أحزاب المعارضة مثل حزب توده وحركة الحرية لكسر شوكة المستعمر على أمل التخلص من الفقر والحصول على حقوق العمال الفقراء. «يمكن للمجتمع أن يستفيد من الحرية والديمقراطية من خلال وجود حقول ناضجة وكاملة، وكان الراحل مصدق يريد أن يحقق الديمقراطية نمواً ثقافياً. من المؤكد أن المجتمع الذى كان فى قبضة المستعمرين منذ قرون لن يتم تحريره منه بسهولة، وسيظل فى حالة من الفوضى» (كازرونى، أعمال درويشيان فى بوتقة النقد: ١٨٧).

الوظائف الاجتماعية للبروليتاريا والتشيؤ فى «عناقيد الغضب»

تدور أحداث القصة حول حالة عائلة فقيرة من أو كلاهوما هاجرت إلى كاليفورنيا خلال الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات من القرن العشرين، وقد اقتبس الجانب الأسطورى للقصة وملحمة العمال المهاجرين من التوراة والبحث الأبدى عن الأرض الموعودة (ترافيك، تاريخ الأدب العالمى: ٩١١). عائلة جود التى قدمها لنا الكاتب فى روايته هى مثل آلاف الأسر الأمريكية المعدمة دفعتها الظروف الاقتصادية الصعبة، التى تتعدى حدود الفقر لتصل بالمواطنين إلى حد الموت جوعاً أو جفافاً، إلى ترك وطنها وعملها فى

القطن بأوكلاهوما بعد أن أصابها الجذب والجفاف خلال فترة قصعة الغبار والسفر غرباً إلى كاليفورنيا سعياً وراء حياة أكثر أماناً بعيداً عن الفقر. قبل السفر تقوم الأسرة بتمليح خنزير كزواذة للطريق، حيث يرمز الخنزير إلى مصير البشر الذين تم سحقهم وتدميرهم تحت الحكم الاستعماري دون أن يكون لديهم الحق في الاحتجاج. بعد الوصول إلى وجهتها، تعيش عائلة جود في معسكر العمل ويعملون في الحقول للحصول على الحد الأدنى للأجور، ويستغلهم أصحاب العمل والإقطاعيون. يتمرد توم (الابن الأكبر للعائلة) وينضم إلى المحتجين: «إن مفهوم التمرد في العالم الحديث لا يعنى الأنانية، بل يكمن في الاستجابة المتمردة للحب للإنسانية. لذلك، بالإضافة إلى التمرد على القوة المتدهورة للمجتمع الحديث، فإنه يدعو إلى العدالة في المجتمع الإنساني ورفاهية البشر» (قابلي، الشخصيات المتمردة في أعمال جون ستاينبيك: ٥١). تدرك عائلة جود تشيؤها محاولة تغيير حياتها. البروليتاريا هي بطل المشكلة حيث أدركت هدف التبعية وهي في طليعة الثورة. إذا قسمنا روايات القرن العشرين التي تعاني في حد ذاتها من الكثير من التناقضات التاريخية والاجتماعية وتواجه الكثير من الكوارث الإنسانية والأخلاقية إلى أقسام فسوف يكون لدينا: الجيل الأول: مارسيل بروس. الجيل الثاني: ألبير كامو والجيل الثالث: غراهام غرين. تصنف «عناقيد الغضب» في الفئة الثانية: «جيل خرج من رماد الأمل يسعى لتحسين الظروف الإنسانية ويلاحظ في أعماله الأمل والإيمان الجديد بالحياة بمعناها الخالص والبدائي الغائب في كتابات المؤلفين السابقين» (المرجع نفسه: ٥٢).

الوظائف الاجتماعية للروائيتين في مجال التشيؤ

تعتبر والدة شريف أن مصيرها في الحياة فقر مطلق وديكتاتورية واستبداد وتشيؤ أبدى، بينما كانت والدة توم تملك الأرض والعمل منذ البداية، ولم يكن لعائلتها سوى القليل من الشعور بالملكية والازدهار. تعاني عائلة جود من التشيؤ بقدر ما تعاني منه عائلة شريف وهو ليس موروثاً، وآمال عائلة جود في ظروف أفضل هو أمل أكبر. «قالت الأم: يجب أن نبذل جهودنا. نحن نبقى على قيد الحياة بينما تموت سبعة أجيال منهم. نحن خالدون ولا يمكنهم تدميرنا. نحن الشعب والشعب حتى دائماً» (ستاينبيك، عناقيد الغضب ٤٩٨٢). يبدأ الاختلاف في الرؤية العالمية بين توم وشريف منذ الطفولة. عاش شريف بين

الفقراء- لكن توم كان في رخاء نسبي، وتعرض عائلته للتشيؤ كان سريعاً وإدراكهم له بطيء. «الماركسية ليست مجرد وصف للعالم، إنها المعرفة الذاتية للمجتمع الذي من خلاله سيصبح العالم ثورياً وموضوع هذه المعرفة بالنفس (البرولتاريا) يفهم الواقع بينما يخضع للتغير ويصبح التاريخ واعياً بنفسه من خلال النشاط الثوري لهذه الطبقة» (غولدمان، ١٢٠٢م: ٢٦).

الوعي الممكن

يترجم الوعي الممكن إلى الوعي المحسوب. يعتقد ماركس أننا لا نحتاج إلى معرفة ما تفكر فيه الطبقة الكادحة، لكننا نهدف إلى فهم الوعي الطبقي للكادحين والتمييز الرئيسي للوعي الحقيقي ويكمن الوعي الممكن في هذه المرحلة. «ليس الهدف من الوعي الممكن هو فهم الفكر الجماعي، بل فهم مفتاح فهم التغيير؛ يمكن أن يحدث ذلك في الوعي الجماعي دون تغيير الطبيعة الأساسية لتلك المجموعة» (غولدمان، لوكاتش وهيدجر: ٦٦).

الوعي الممكن في «السنوات الغائمة»

عائلة شريف هم عمال. يصف الخال سليم كيف أنه عندما كان طفلاً كان ذا جسم نحيف ونحيل وكان يتم إرساله داخل الأنابيب الكبيرة في المصنع لتنظيفها. «المجال الرئيسي للوعي الممكن هو استكشاف وعي مجموعة معينة تكافح بدون تغيير هيكلية وتحول اجتماعي عميق في السابق لا يمكنها الخروج عنه. تحقيقاً لهذه الغاية، يرشدنا مفهوم وعينا الممكن لفهم الحياة الاجتماعية» (انظر: المصدر نفسه: ٨٠). التاريخ والمجتمع والسياسة في هذه الرواية هي ثلاثة أجزاء لا تتجزأ وتخلق نسيجاً متكاملماً في الرواية. بالنسبة لغولدمان، يتم تعريف كل طبقة اجتماعية بثلاثة عوامل مهمة. «١. الدور في الإنتاج، ٢. العلاقات بين الطبقات الأخرى، ٣. النظرة العالمية الخاصة. النظرة العالمية تابعة لدور الإنتاج الفردي في المجتمع» (غولدمان، مقدمة في علم الاجتماع؛ الأدب: ٦١). يتمثل الوعي الممكن لهذه الطبقة في الخوف من الجوع والفقر بشكل أكبر، وفي الوقت نفسه يثور هذا الضغط الداخلي بسبب النظام الاستبدادي، ووفقاً لغولدمان، يمنحهم رؤية خاصة للعالم. يقول سليم إنه ينتمي لحزب توده لأنه يعتقد أن صراع الجماعات العمالية

يلعب دوراً مهماً في هزيمة الإمبريالية، يقول: «معسكر اللصوص في إيران واحد، والأقنعة مختلفة. قبضة العامل هي وحدها القادرة على التسبب بالقلق والاضطراب لهم» (درويشيان، السنوات الغائمة: ٦٥٦). يقضى شريف شبابه في سجن السافاك، يتعرض للتعذيب، لكنه لا يتخلى عن إيمانه لأن وعيه الطبقي الممكن يعزز النضال ضد الاستبداد ويقوى قيمة العدالة. هذا هو الوعي الممكن للطبقة البروليتارية التي أصبحت تدرك تشيؤها وتحاول تدميره. جميع العائلات تتابع قضية السياسة والنظام الاجتماعي غير مناسب، وتتوق إلى الإطاحة بالنظام وتنتظر منقذاً عظيماً.

الوعي الممكن في «عناقيد الغضب»

هاجرت عائلة جود على أمل العثور على أرض جديدة وعمل. كاليفورنيا هي سراب للفقراء ليس إلا، ويستغلهم ملاك الأراضي. لقد ظل توم في السجن لبعض الوقت ولا يتحمل الظلم فينضم إلى صفوف المناضلين. «يجب على البروليتاريا أولاً أن تدرك وضعها التاريخي حتى تصل إلى موقعها الرئيسي (سعيد، عالم النص والنقد: ٣٢٨). البقاء على قيد الحياة هو قمة الوعي الممكن لهذه الطبقة الكادحة. «كل ما نفعله هو في رأيي ليس سوى الحياة. أرى كل شيء مثل هذا، حتى الجوع، وحتى البؤس. يموت الكثيرون ولكن آخريين يصبحون أكثر مقاومة، ويجب العمل للبقاء على قيد الحياة حتى الغد فقط، للبقاء على قيد الحياة اليوم» (ستاينبيك، عناقيد الغضب: ٧٥٨). لا تفيد الهجرة الأسرة، تماماً كما لم تحمل هجرة عائلة شريف إلى طهران سوى الفقر والبؤس لها. وفقاً لنظرية غولدمان، تدرك العائلتان ظروفهما الاجتماعية التاريخية، لكن معظم أفرادها غير قادرين على مواجهة الظلم والاحتجاج عليه. الرواية الواقعية هي تعبير عن مجتمع متغير ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح تعبيراً عن مجتمع يدرك التغيير وعائلة جود تمر بهذه المأساة في كل مرحلة حيث يكتمل إدراكها كل يوم لظروفها الحرجة.

الشخصية الإشكالية

الشخصية الإشكالية متدمرة وفضولية، لا توافق على الظروف الاستعمارية الاستبدادية للحكومة، وتسعى إلى الحصول على نموذج وفرصة وقائد وتيار لتجاوز العيوب والمشاكل

الاجتماعية والسياسية. الرواية هي انعكاس للواقع قبل أن تكون من نسج الخيال، وجوهرها الأساسي يكمن في التعبير عن العلاقة بين الواقعية والشؤون التحليلية. الروايات التي أصبحت إبداعات ثقافية مهيمنة هي روايات تتخطى الصلاحية السطحية لعلاقات إنسانية محددة، وتجد نموذجاً اجتماعياً يشمل عالماً من القيم، وتكون كمرجع لمغامرات البطل وخبراته في الأعمال الأخرى. «يتم البحث عن القيم الحقيقية التي لا يمكن تحقيقها في الواقع الخارجي داخل عالم الإنسان، ولكنها ليست في مأمن من الأضرار التي تؤثر على الهيكل الاجتماعي للمجتمع بشكل عام. لذلك، فإن أولئك الذين يبحثون عن القيم الحقيقية يمثلون شخصية إشكالية لأنهم لا يستطيعون الهروب من الآثار الضارة للقيمة المتداولة علناً للتشيؤ» (غولدمان، المجتمع، الثقافة والأدب: ١٢٦). في مجتمع فردى يأسره التشيؤ، تنطبق الشخصية الإشكالية على شخصية بطل الرواية في عالم الجمالية.

دراسة الشخصيات الإشكالية في الروايتين: شريف وتوم

ازدهر وعى شريف الممكن من خلال العيش بالقرب من العم سليم والعم حامد وجعله شخصية ديناميكية. عندما يعارض المعلم السياسات الاستبدادية ويشجع الطلاب على محاربة الظلم، يذهب إلى الجامعة، ويصبح ناشطاً سياسياً، ويسجن ويعذب بسبب معتقداته، ويسعى لتحقيق حقوق طبقته. أي أنه شخص إشكالي وكبطل إشكالي يدرك التناقضات الموجودة بينه وبين المجتمع، لذلك فهو دائماً ينتقد ويعارض ويعرض حياته للخطر في سبيل هذه المعارضة. ينجذب شريف في البداية إلى حزب توده بسبب عقائد الخال سليم ومرتضى. بعد الانقلاب ونفى مصدق وزعزعة أركان حزبه، هُزمت الحركة المناهضة للإمبريالية ومنظمات المعارضة، وتم تأسيس دولة فاشية ولم تعد هناك صلة بين المثقفين الثوريين والجماهير. في خضم هذه الأحداث التي تغتال الديمقراطية وتقمعها وتعطل إنشاء المنظمات العمالية، يدخل شريف الجامعة ويقبل على النضال المسلح مع مجموعة من الأصدقاء لكسر موجة الاستبداد وإخراج البروليتاريا من الثقافة القمعية. كانت رسالة الفدائيين الرئيسية هي حرب العصابات. «بعد الهزائم المتتالية لحزب توده، حققت انتصارات كاسترو والثقة الجديدة التي أنشأها مقاتلو أمريكا اللاتينية تأثيراً

حيوياً على المثقفين الإيرانيين الشباب» (أبراهاميان، إيران بين ثورتين: ٤٨٨). يكتسب توم الخبرة طوال الرواية ويصبح متمرداً. وبهذا المعنى، فإن التمرد هو الابتعاد عن العالم الرأسمالي الذي تتفوق فيه حقوق الملكية على حقوق الإنسان ويتم تجاهل أبسط قوانين الحياة. في ظل الرأسمالية، من المنطقي أنه في الوقت الذي تهدر فيه أكوام الفاكهة، فإن الأطفال يتضورون جوعاً لتبقى أسعار الفاكهة ثابتة والمزارعون ذوو الخبرة غير قادرين على العمل في أرض خصبة (قابلي، الشخصيات المتمردة في أعمال جون ستاينبيك: ٥٢). توم شخصية إشكالية، وعلى الرغم من مروره بالقصة، لكنه لا يستطيع حل نزاعه مع المجتمع الفاسد والمستعمر، وأمله في العثور على الخلاص يجعل منه شخصية ديناميكية؛ وتبدو ردود أفعاله في الجزء الأخير من الكتاب تبدو مثل حرب العصابات التي يقوم بها شريف. إنه يناضل إلى جانب رفاقه، ويحترف النضال والمعارضة ضد أصحاب الأراضي، ولا يخاف الموت، وأمله هو تحرير البروليتاريا. «ضحك توم ضحكة ملؤها الألم وقال: كما اعتاد جيسى أن يقول، لا توجد روح منفصلة، بل يحتوى كل إنسان على جزء من الروح. أنا أدرك صراخ الأشخاص الذين يتألمون من الجوع. أنا خائف على الأطفال الذين يعانون من الجوع ولا يوجد شيء يأكلونه» (ستاينبيك، عناقيد الغضب: ٧٥١). شريف وتوم كلاهما أبطال رواية وشخصيتان إشكاليتان، وغضبهما من أزمة الظروف الاجتماعية يغذيها ولكن العنف الذي في توم ليس في شريف. يؤمن شريف المتعلم بالنضال الثقافي، وفي مكتبته يسعى لزيادة وعي بالشباب بالمجتمع، فيقدم روايات مثل «سووشون». توم غاضب أكثر من كونه سياسياً، وتصوره للقضايا تصور سطحي، ولم يدخل السجن بسبب أنشطته السياسية مثل شريف حيث جعله السجن شخصاً عنيفاً. يعتبر السجن بالنسبة لشريف بيئة للتعمق في التفكير والتعذيب يجعله أكثر رسوخاً. إن طريق توم بصفته متمرداً في نهاية الرواية طريق متعرج ملتو وصل إليه شريف منذ سنوات مع الوعي الثوري الذي لديه.

قسيس باسم جيم كيسي

هو رفيق سفر لعائلة جود يُقتل على يد حملة العصي أمام أعين توم. يضرب توم واحداً منهم ويهرب. في نهاية المطاف يتم قتل الشخصية الإشكالية بسبب المعتقدات. في فترة الفرار، يتذكر توم كلمات كيسي الحكيمة عن العدالة والتصوف: «في عدة أماكن من

الرواية، يشير كيسي إلى أن الحياة البشرية خلف القيم الاجتماعية والأخلاقية، مقدسة والمحترمة، وإن ما يعرقل الحياة بالمعنى العام للكلمة، مميت وقذر وخاطئ ويستحق النضال ضده» (قابلي، شخصيات المتمردة في أعمال جون ستاينبيك: ٥٢). يتمتع جيم كيسي بتأثير عميق على توم وقد لعب دوراً مهماً في الوعي السياسي له ودخل إلى حياة توم خلال ظروف التمرد على الاستبداد الليبرالي. المشكلة تكمن في أن هذا التسارع للأحداث يجعل تقييم رؤية توم أزمة مضاعفة. وبسبب هذا، فإن جيم كيسي ورغم تحريضه لتوم، لكن لا يمكنه توجيه ضمير توم وفكره القائم على العدالة كما فعل سليم ومرتضى اللذان كانا معلمي شريف منذ الطفولة وغرسا فيه الفكر الثوري والوعي الطبقي. ومن جهة أخرى فقد توم معلمه في الطفولة مبكراً.

العم سليم والسيد مرتضى

ينتميان إلى حزب توده لكنهما تائهان، وحقوق البروليتاريا الضائعة هي شاغلتهما الرئيسي. هدفهما هو أن يكونا معارضين سياسياً للنظام ولا يحاولان فرض كل أفكار الحزب. عندما مات ستالين (١٩٥٣-١٩٢٢م)، يقيم الرفاق الآخرون الذين يرون ستالين كزعيم كبير لبروليتاريا العالم مراسم صمت، لكنهما يغادران الجمع احتجاجاً. يتلقى سليم جميع الأوامر من حزبه ويعارض مصدق لأنه يعتبره عميلاً أمريكياً، بدلاً من ذلك يوافق على الشيوعية والحركة العمالية السوفيتية. تم نشر بعض أفكاره من خلال الحزب، وكان أهم نجاح لتوده هو تنظيم العمال، إلا أن معظم معتقداته كانت مفروضة عليه حيث جعلت منه شخصية معارضة وإشكالية.

«نظرت بببي مباشرة إلى الخال سليم: هل أنت من حزب توده؟ يقول الخال: نعم يا أمي، إن حزب توده هو حزب الطبقة العاملة الإيرانية» (درويشيان، السنوات الغائمة: ٥٨٠). السيد مرتضى هو الشخصية الأكثر إثارة للقصة بعد شريف، وبعد عدة سنوات قضاها في سجون السافاك يتم إعدامه مع أبنائه المناضلين السياسيين المناهضين للنظام. «الطريقة الصحيحة لوصف شخصية الرواية هي أولاً أن تصبح مؤهلة اجتماعياً وثانياً أن تصبح ضحية للمجتمع. أي أن البطل غالباً ما يثبت بموته أن مجتمع الشر لا يزال بعيداً كثيراً عن الخير» (زرافا، علم اجتماع الأدب القصصي: ١٧).

إنه عضو في حركة المقاومة الوطنية، وهي حركة هدفها الدفاع عن مكاسب تأميم صناعة النفط ضد الحكومات الاستعمارية. دافعت هذه الحركة عن الدكتور مصدق بعد الانقلاب واحتجت على نفيه. «ينظر الخال حامد إلى السماء، يتحرك اليوم مناضلو كرمانشاه إلى طهران لدعم مصدق، لذلك سأذهب معهم» (درويشيان، السنوات الغائمة: ٦٦٠). شخصية الخال حامد إشكالية وأفكاره وطنية مقارنة بأفكار الخال سليم: «هذا الاتحاد السوفيتي، الدولة العمالية، لماذا لا يشتري النفط منا لمساعدة هذه الحكومة الوطنية؟ سليم: تأكد أنه إذا اشتري السوفييت النفط منا، فإن مصدق كان سينفق العائدات على شراء الإمدادات من الولايات المتحدة. حامد: هل هذا هو الجواب الذي وضعه على لسانك؟ هل ستكون الضربة أسوأ؟» (المرجع نفسه: ٦٩٦). «اختلف قادة توده حول ما إذا كان ينبغي الدفاع عن مصدق أم لا. يعتقد الأعضاء ذوو الخبرة أن حزب توده يجب أن يساعد الجبهة الوطنية لأنها تمثل البرجوازية الوطنية في الحرب ضد الإمبريالية البريطانية وتسعى جاهدة من أجل الثورة الديمقراطية الوطنية ويمكن للحزب تعبئة الثورة الديمقراطية الوطنية من خلال المطالب والمظاهرات وغيرها من الأعمال الجماهيرية» (أبراهاميان، إيران بين الثورتين: ٢٩٠).

من الواضح أن كل حزب كان مهتماً بتوحيد أفكاره، وباستثناء كبار القادة السياسيين الذين كانوا من المثقفين والموظفين الحكوميين، لم يكن للعمال والأعضاء البعيدين عن الساحة السياسية فهم واضح لظروف الأزمة وكانوا يتخبطون تائهين متمردين بين الأحزاب بنواة التفكير النقدي والمناهض للحكومة غير متصورين عدواً أو عقبةً في الكثير من الشؤون وكانت مثلهم الرئيسية تقوم علي الإطاحة بالفقر والاستبداد. في ١٩ أغسطس، حدث جدال لفظي بين الشقيقين: «قام زاهدي بالانقلاب فسبب لنا البؤس جميعاً. حامد: يكفي أن حزب توده قد زرع العقبات. يمسح سليم صورة مصدق بقطعة قماش مبللة: لأن مصدق كان يختبئ تحت البطانية ولم يخرج. في منتصف الليل نساعد العم حامد وسليم على إخراج صحفهما وكتبهما وتدميرها» (درويشيان، السنوات الغائمة: ٧٣٢). في النهاية ينضم الشقيقان إلى النضال ضد تقلبات ما بعد الانقلاب. لم تنفع وحدة مجموعتي الحركة الوطنية والحركة الجماهيرية لأن هذين الحزبين ليس لهما قائد قوى ولم تتطور مشاعر ثورة الشعب. ليس لشريف فهم صحيح للأفكار الحزبية المختلفة وهو في حيرة من أمره.

«لا أدري لماذا يقول الخال سليم، الذي عمل في شركة منذ الطفولة وكدح كثيراً، هذا لمصدق؟ لماذا إذن يحب الكثير من الناس مصدق وهم يعملون بجد وكدح مثل اخلال حامد والسيد ومرتضى؟ أنا لا أعرف ماذا أفعل. رجعي، مناصر لمصدق وحزب توده»(المرجع نفسه: ٤٥٣).

الواقعية النقدية في شرح حياة البروليتاريا

تم اقتراح مصطلح الواقعية النقدية (Realisme critique) للمرة الأولى بواسطة بارغيورك لوكاتش (١٨٨٥-١٩٧١) الناقد المعروف فاتحاً المجال بشكل أوسع من الأدب. «مفهوم الواقعية النقدية لا ينفصل عن وجهة نظر لوكاتش. في هذه المرحلة، يتجاوز أبطال الرواية بيئتهم ويسعون جاهدين للحصول على وضع اجتماعي جديد. أي أن هؤلاء الأبطال يكافحون ضد الوضع الراهن ويحاولون تغييره»(سيد حسيني، المدارس الأدبية: ٣٠). أبطال مثل توم وجيم كيسي وسليم ومرتضى، وفقاً لنظرية لوكاتش في عالم الواقعية النقدية، يتقدمون على زمنهم محاولين إحداث التغيير في النظام الاجتماعي المضطرب. «تقدم الواقعية العظيمة بالنظر إلى توقيتها وشخصياتها الفنية حلاً مختلفاً لكل قضية أساسية، ولكن هناك وحدة مشتركة في كل هذه القضايا، وهذا له تأثير عميق على القضايا العظيمة والعالمية في ذلك الوقت، ويصف الصعوبة التي لا لبس فيها للجوهر الحقيقي للواقعية»(لوكاتش، بحث في الواقعية الأوروبية: ١٦).

ترتبط رواياتنا من حيث المدرسة الأدبية بمجال الواقعية النقدية وتمثل نوعاً من القوة الدافعة الاجتماعية التي تعيد بناء صورة شاملة للمجتمع، لا سيما جوانب الأحداث التي يفضل المجتمع إبقائها مخفية. تتمثل المهمة الرئيسية للواقعية النقدية في وصف حياة الطبقة الكادحة في المجتمع، وتوجد العديد من الأمثلة على ذلك في أدب إيران والعالم ضمن إطار أدب العمال: «جرمينال»(ميسل زولا)- «الأم»(مكسيم غوركي)- «البؤساء»(تشارلز ديكنز). تصور مواضيع الواقعية النقدية الشخصيات التي تتجاوز النظام الفرعي الاجتماعي الحالي والقيم الناتجة عنه. حاول درويشيان وستاينبيك تصوير فترة حياة تاريخية وديناميكية للعمال في سياق مجتمع غير قابل للتوفيق وموقعهم في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر وأجواء الواقعية النقدية. هذه الواقعية التي تخدم معاناة البروليتاريا

بحرية فى سياق الواقع الاجتماعى، تسمى الواقعية الواعية: «ما أسميه الواقعية الواعية ليس مجرد رد فعل على الواقعية السابقة التى وضعت فى الاعتبار عبودية العالم المادى». الواقعية الواعية لا تنكر العالم إلا إذا اضطرت لذلك عندما يحين الوقت لتحقيق ذلك (غرانت، الواقعية: ٧٣).

الطبيعية (Naturalisme) شبه المظلمة لحياة العمال

عندما تتجاوز الواقعية مجال الواقع إلى الاحتجاج على ظروف المجتمع وكدح الطبقة المحرومة والفقيرة فى فضاء طبيعى، فإنها تصف حياة بروليتارية غير منظمة، مما يؤدى إلى ولادة الأدب العمالى. يجرى إبداع الأدب العمالى بشكل أساسى بالطريقة الواقعية، ولكن يمكن أيضاً كتابة الأدب العمالى بطريقة طبيعية. «كانت الطبيعة الأمريكية استجابة مباشرة للقضايا الاجتماعية والوطنية. غالباً ما تكون الصراعات التى تدور رحاها بأيدى الرأسماليين موضوع الأعمال الأدبية الطبيعية» (فورست، ١٩٩٦م: ٤٢). تُظهر رواية «عناقيد الغضب» كيف أن الشركات القوية أزاحت الشركات الصغيرة والفلاحين النازحين. تضم هذه المجموعة مؤلفين مثل ثيودور هيرمان دريزر (١٩٤٥-١٨٧١) وستيفن كرين (١٩٠٠-١٨٧١) من الولايات المتحدة. وهكذا يتأثر المذهب الطبيعى الأمريكى بالعوامل المحلية أكثر من الاستغلالى بينما يكون المذهب الطبيعى الإيرانى الذى يعتبر صادق جوبك (١٣٧٧-١٢٩٥) من رواده، نابعاً عن الاستعمار ونفوذ الأجانب والضعف الداخلى للحكومة، معبراً عن البؤس والتشاؤم والفقير والفساد الاجتماعى الذى تعد الطبقات الفقيرة فى المجتمع من الضحايا الرئيسيين له.

«من خلال اقتصارها على إعادة إنتاج الواقع، حرمت الطبيعية الأدب من القدرة على تقديم صورة حية وديناميكية للقوى الدافعة الأساسية للتاريخ» (لوكاتش، الرواية التاريخية: ٣١٦). إن ما يقدمه درويشيان وستاينبيك ليس مجرد قصة، ولكن فى ضوء نقد غولدمان الذى يعتقد بأنه يجب على المرء أن يفهم الأدب مع التاريخ، فهو احتجاج ضد قادة السلطة والطبقة البرجوازية فى السياق التاريخى والذين يظلمون العمال ويدفعون لهم أجوراً بخسة ويبيعون بأثمان باهضة ولا يسعون لعمل بناء لتوفير رفاهية العمال وسكنهم وصحتهم.

نتيجة البحث

«السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» عملان واقعيان في سياق الأدب العمالي. كما تقدم ذكره، يجب أن يكشف العمل الواقعي عن مفاهيم التناقضات المختبئة في النظام الاجتماعي. تضم الروايتان انعكاسات صحيحة وكاملة وحيوية وديناميكية لبنية اجتماعية متماسكة وقد كتبها كتاب يمثلون الطبقة العاملة. يتماشى هذا المفهوم مع النظرية البنائية للوسيان غولدمان الذي يجادل في نقده الماركسي قائلاً: أن الأفراد هم عوامل لمواقف في النظام الاجتماعي، وليسوا عبارة عن عوامل حرة. لذلك فإن علم الاجتماع البنائي لا يعتبر العمل الأدبي انعكاساً للوعي الجماعي ولا يدرس العلاقة بين الاثنين على مستوى المحتوى؛ يعد كلا الكتابين ثمرة لحياة البروليتاريا الشاقة والمتقلبة، والفرق الرئيسي بينهما هو أنه في السنوات الغائمة، استمر جزء كبير من النضال وقضى الأبطال سنوات عديدة في المعارضة والاحتجاج ضد المستعمرين، مدركين لوعيهم الطبقي. لكن في «عناقيد الغضب» أصبحت طبقة البروليتاريا في بداية وعيها الطبقي مدركة تدريجياً لتشيؤها الذي لا مفر منه وهي في طليعة معارضة النظام الاجتماعي الاستغلالي الحالي. لقد كان صراع البروليتاريا مع الرأسمالية في السنوات الغائمة أكثر نجاحاً، ونهاية الكتاب تمثل انتصار الثورة وإطلاق سراح السجناء السياسيين. لكن نهاية كتاب «عناقيد غضب» تمثل بداية الظروف الحرجة بالنسبة للعمال الذين لا ملجأ لهم في موسم البرد وهم قلقون على أسرهم من موجة الخوف والجوع والبطالة. يشرح غولدمان تحليل العمل الأدبي في مرحلتين: ١. يجب فهم العمل في هيكله وهذا ما يسمى بمرحلة الفهم. ٢. يجب إدراج هذا الهيكل في البنية الاجتماعية والاقتصادية وهذا ما يسمى بمرحلة الشرح. وفقاً لرأى غولدمان، فإن الروايتين قابلتان للنقد المقارن الأمريكي من حيث عملية الفهم وعملية التفسير والشرح، على الرغم من الاختلافات الزمنية والمكانية بينهما. تم تصميم هيكل كل من الروايتين في السياقين الاجتماعي والاقتصادي للطبقة الضعيفة والعاملة ويتم إدراكهما على حد سواء، ومن خلال وضع أبطال الرواية في إطار مؤشرات تفكير غولدمان مثل الوعي الطبقي والتشيؤ والشخصية الإشكالية، فسوف نستنتج وجود العديد من أوجه التقارب والتشابه بينهما. هناك العديد من الأبطال في الروايتين. إن مسعى كلتا الروايتين هو إظهار تناقضات المجتمع الطبقي ووعي البروليتاريا ونضالها، وإن ما يدفع الأبطال

للنضال هو أسرهم فى سجن التشيؤ، وعلى الرغم من أنهم جميعاً يعانون من الارتباك السياسى لعدم وجود قيادة متماسكة، يصبحون يوماً بعد يوم أكثر تصميماً ورسوخاً فى الصراع. لا يجد سليم حلاً لارتبائه ويعرض عن حزب توده، ويسعى فى مسيرة الفكر الدينى إلى حالة من السلام والسكينة الروحية. توم وحيد دون حب، يكره الاستبداد والقسوة، ويسعى لتحقيق العدالة، وموت صديقه له تأثير عميق عليه، وغضبه أثناء هروبه يدفع توم إلى المكاشفة. إن دور جيم كيسى فى حياة توم، مثل دور مرتضى وسليم فى شخصية شريف، ديناميكى وبناء ويحتذى به. شريف على عكس توم، عاشق، لكن المعركة هى أهم تحد له، وهذه المهمة الخطيرة تبقيه لسنوات بعيداً عن زوجته وعائلته. بالنسبة له، فإن التعليم هو الحب والأمل فى تربية جيل واعٍ يجب أن يكسر الطغيان بذكائه وعلمه، ويبدل شريف قصارى جهده لتعليم طلابه، الأمر الذى لا يعجب رؤساء السلطة لأنهم يهدفون بشكل رئيسى لإبقاء الناس فى حالة من الجهل والامية للحفاظ على السلطة.

پښتو ښکاه علوم انسانی ومطالعات فرہنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

- أبراهاميان، يرواند. ٢٠٠٨م، إيران بين ثورتين، ترجمة كاظم فيروزمند، حسن شمس آوري، محسن مديرشانه جي، ط ١٢، طهران: مركز.
- أشوري، داريوش. ٢٠٠٨م، الموسوعة السياسية، ط ١٦، طهران: مرواريد.
- ترافيك، باكنر. ٢٠١١م، تاريخ الأدب العالمي، ترجمة عربعلی رضایی ج ٢، ط ٤، طهران: مطبوعات فرزبان.
- درويشيان، علي أشرف. ٢٠٠٤م، السنوات الغائمة، ج ١ و ٢، ط ٥، طهران: چشمه.
- زرافا، ميشيل. ١٩٩٧م، علم اجتماع الأدب الروائي، نسرين برويني، طهران: سخن.
- ساجدي، طهمورث. ٢٠٠٨م، من الأدب المقارن إلى النقد الأدبي (مجموعة مقالات)، طهران: أمير كبير.
- ستاينيك، جون. ٢٠١٣م، عناقيد الغضب، ترجمة شاهرخ مسكوب وعبد الرحيم أحمدی، ط ١٨، طهران: أمير كبير.
- سعيد، إدوارد. ١٩٩٨م، عالم النص والمنتقد، ترجمة أكبر أفسري، طهران: توس.
- سلطاني، فرامرز. ٢٠٠٨م، الأدب العمالي في إيران في القرن المعاصر، طهران: أكنون.
- سيد حسيني، رضا. ٢٠١٢م، المدارس الأدبية، ج ١، ط ١٧، طهران: نگاه.
- شميسا، سيروس. ٢٠٠٦م، النقد الأدبي، طهران: ميتر.
- عسكري حسنكلو، عسكر. ٢٠١٥م، علم اجتماع الرواية الفارسية، طهران: نگاه.
- غرانت، ديميان. ١٩٩٦م، الواقعية، ترجمة حسن أفسار، طهران: مركز.
- غولدمن، لوسين و ثيودور آدونور وآخرون. ١٩٩٧م، المجتمع، الثقافة، الأدب، مختارات وترجمة محمد جعفر بوينده، طهران: چشمه.
- غولدمن، لوسين ولوكاتش، غيورك وباختين وهيغل. ٢٠١٣م، إطلالة على علم اجتماع الأدب، مختارات وترجمة محمد جعفر بوينده، ط ٣، طهران: نقش جهان.
- غولدمن، لوسين. ١٩٩٠م، النقد التكويني، طهران: بزرگمهر.
- غولدمن، لوسين. ٢٠١٢م، لوكاتش وهيديغر، ترجمة محمد زارع، طهران: حكمت.
- فورست، ليليان. ٢٠١٦م، الطبيعية، ترجمة حسن أفسار، ط ٤، طهران: مركز.
- كازروني، جعفر. ١٩٩٨م، أعمال درويشيان في بونقة النقد، طهران: نداي فرهنگ.
- لوكاتش، غيورك. ١٩٩٤م، بحث في الواقعية الأوروبية، ترجمة أكبر أفسري، طهران: دار النشر العلمية الثقافية.
- لوكاتش، غيورك. ١٩٩٨م، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة محمد جعفر بوينده، طهران: نسل قلم.

لوكاتش، غيورك. ٢٠٠٧م، **الرواية التاريخية**، ترجمة شاپور بهيان، طهران: اختران.
نامور مطلق، بهمن و كنكرانى، منيجه. ٢٠١٠م، **العلوم المقارنة (مجموعة مقالات)**، طهران: سخن.
ندا، طه. ٢٠٠٨م، **الأدب المقارن**، ترجمة هادى نظرى منظم، ط ٢، طهران: نى.

المقالات والرسائل

خليلى جهان تيغ، مريم وعثمانى، مكيه. ٢٠١٢م، «**النقد الاجتماعى لرواية السنوات الغائمة لعللى أشرف درويشيان**»، مجلة الأدب الروائى، ج ١، العدد ١، صص ١١٣ - ١٣٢.
سىدى، ندا. ٢٠١٤م، «**دراسة الأدب العمالى فى العهد الدستورى فى مجال الشعر والنثر**»، الأستاذ المشرف: إحسان شفيقى، رسالة ماجستير، جامعة آزاد الإسلامية، قسم آستارا.
قابلى، نجمه. ٢٠٠٥م، «**الشخصيات المتمردة فى أعمال جون ستاينبك**»، مجله كلستانه، ج ٦٤، صص ٥٠ - ٥٤.
كوجكيان، طاهره وقربانى، خاور. ٢٠١٠م، «**تجسد المجتمع والواقعية فى السنوات الغائمة لعللى أشرف درويشيان**»، مجلة البحوث الفلسفية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية فى جامعة تبريز، العدد ٢٢٠، صص ٨٥ - ١٠٦.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی



پروپوزيشن گاه علوم انساني ومطالعات فرهنجي
پرتال جامع علوم انساني



پښتونستان د علوم انساني او مطالعاتو فریښی
پرتال جامع علوم انساني